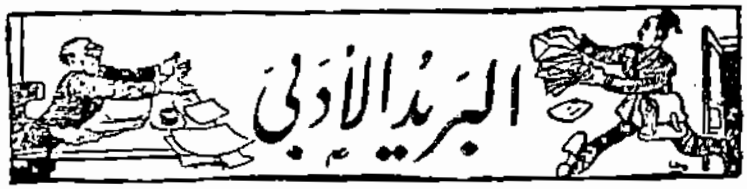

إلى الأستاذ مندور

كتب الأستاذ محمد مندور تعقيباً ، على كلمتي المنشورة بالعدد ٤٨٦ من الرسالة ، فراعني ما في تعقيبه من انحراف عن جادّة الحق ؛ ووقع في نفسي أن أبيّن له ما انساق إليه من تعسف واجتلاب للنقد . فقد التجأ الكاتب إلى أساليب ملتوية معقدة ، يبرّر بها نفسه ، وينفي عنه الخطأ ، كأنما عزّ عليه أن يسلم بخطأه ؛ وهو لو أنصف لعلم أنّ ليس مما يحط من قدره أن يخطئ ، وإنما يحط منه أن يُصر على خطأه ويكابر فيه . ولا ريب أن الأستاذ يعرف المثل اللاتيني القائل : إن من طبيعة الإنسان أن يخطئ : « Hominis est errare » . والخطأ كثيراً ما يكون طريق الصواب كما يقول ليبنتز

بيد أن الأستاذ مندور — وقد أغرم بالسوفسطائية[1] — شاء إلا أن ينهج نهج الميغاريين Mégariques الذين نزعوا منزع السوفسطائيين ، فكانوا في جدلهم dialectique لا يرمون إلى معرفة الحق والتوصل إليه ، وإنما يهتم الواحد منهم بشيء واحد فقط ؛ هو أن يجعل خصمه ينقطع . ومن أجل هذا رأيناه يتصدّى للرد على كل معترض عليه ، ولا يتوخّى الحق في هذا الرد ، وإنما يهتم بأن ينفي عنه الخطأ ، مهما كان في ذلك من التجني على الحق !

لقد قلنا له إن قوله (عثرت به) بمعنى ملاقاته اتفاقاً ، ليس تعبيراً عربياً صحيحاً ، إذ الصواب أن يقال : (عثرت عليه) . فعاد الأستاذ يقول : « فأما عن (عثرت به) فقد قلت إن المعنى الذي أريد التعبير عنه هو العثور بالشيء أي ملاقاته اتفاقاً ، ولم أرد « العثور عليه » أي الاطلاع الذي يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها » . ولو أنه كلف نفسه عناء البحث في المعاجم اللغوية ، لما اضطرّنا إلى العودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى ... ولكنه يطلق أحكامه إطلاقاً ، ولا يستقصي المصادر ليتحقق مما يقول ، بل يكتفي بأن يقول في جرأة غريبة : « والذي يدهشني هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظري إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية ، وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها » . فنحن لم نرتجل أحكامنا ارتجالاً ، ولم نطلق أقوالنا اعتباطاً ، بل استقصينا المراجع استقصاء شاملاً ، ثم أعلنّا من بعدُ نتيجة بحثنا واستقصائنا . وإذا كنا قد أشفقنا على الأستاذ مندور ، فكفيناه مؤونة البحث ، وعرضنا عليه النتيجة التي توصلنا إليها دون أن نحشد له أقوال أصحاب المعاجم ورجال اللغة ، فما ذلك إلا لأننا نعلم علمَ الواثق ، أنه يدرك ذلك باعتباره باحثاً قد خبر الحياة العلمية وعرف ما يستلزمه البحث العلمي

ومع ذلك ، فإننا نروي للأستاذ مندور فيما يلي ما جاء في المعاجم اللغوية تحت مادة « عثر » : جاء في « لسان العرب » : « عثرَ يعثر عثراً وعثاراً وتعثر كبا ... والعثرة الزلة ، ويقال عثر به فرسه فسقط ، وتعثر لسانه تلعثم ... وعثر على الأمر يعثر عثراً وعثوراً اطلع وأعثرته عليه أطلعته ، وفي التنزيل العزيز : وكذلك أعثرنا عليهم ، أي أعثرنا عليهم غيرهم فحذف المفعول ، وقال تعالى فإن عُثرَ على أنهما استحقا إثماً ، معناه فإن اطُّلِعَ على أنهما قد خانا ... الخ »

وجاء في القاموس المحيط : « والعثور الاطلاع كالعثر ، وأعثره أطلعه ... الخ » وجاء في صحاح الجوهري : « العثرة الزلة ، وقد عثر في ثوبه يعثر عثارا ؛ يقال عثر به فرسه فسقط ، وعثر عليه أيضاً يعثر عثراً وعثوراً ، أي اطلع عليه . وأعثره عليه غيره أطلعه ، ومنه قوله تعالى : وكذلك أعثرنا عليهم...الخ »

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : « ... ومن المجاز : عثر في كلامه وتعثّر . وأقال الله عثرتك . وعثر الزمان به . وجَدٌّ عثورٌ ... وعثر على كذا : اطلع عليه . وأعثره على كذا : أطلعه . وأعثره على أصحابه : دلّه عليهم ... إلخ »

وفي أقرب الموارد للشرتوني : « عثر على السر وغيره : اطلع عليه وعلمه . وعثر به فرسه فسقط ومنه يقال عثر جده أي بخته

---

(١) من الغريب أن الأستاذ مندور يسمي الكاتب الكبير الأستاذ العقاد باسم جورجياس المصري ! (الرسالة ، العدد ٤٧٠) . وعندي أن هذا الاسم لا يطابق أحداً سوى الأستاذ مندور نفسه !

— كيف ؟ سنتكلم فى هذا مرة أخرى . والآن . أليس كل ما فى الغاب يطلب أن يعيش وهو يصطنع لهذا مطالبه الخاصة : ثعلبة ، مراوغة ، قوة ، إلى آخر هـذه المسميات ... وكذلك الشأن فى الحياة والأحياء ... ما رأيك لو جعلنا العيش ميسوراً لكل طالب ... ألا تمحى المنازعات وتذوب الشرور ، ويمشي الإنسان ثابت القدم ، مرفوع الرأس . كل ما أطلبه أن تمحى أنا ، وتحل محلها نحن . ليتم كل شيء

— ولكن تبقى الغاب بعد هذا غاباً ، وحيوان الغاب من طبعه الافتراس . إنه يعقل . أرأيت ثعلباً يفترس ثعلباً ؟

— لا ... وهذه نقطة الاختلاف عن بنى الإنسان . فالناس جنس والغاب أجناس ، هذه هى الطبيعة ، ولكن « أنا » جعلت كل واحد جنساً متميزاً بذاته ، منفصلاً عن بقية جنسه . فكل « أنا » لا بد من أن يطامن من رأسه ويزحف على بطنه حذرا من « أنا » الثانية والثالثة . أما « نحن » فلا نمشى إلا مرفوعى الرؤوس . أمح قليلاً من « أنا » غير آسف . لو كان الغاب ملكاً لفصيلة واحدة ، أكان يمشي أبناؤها وجلين مروعين ، كما يمشى البشر فى درب الحياة ... أينا أعقل ؟ إن جماع الرذائل فى هذا الزائد فى «أنا» عن حاجة المرء فى الحياة ...

— أو يكون ذلك ؟

— سيكون فى يوم ما ، إنها الضرورة ، إن الإنسانية لتعيش مروعة من الذل والخراب والجوع . وإنك لتعرف أن القلق حالة طارئة وأن الشيء الطبيعى هو حالة الاستقرار . وإلى أن يجيء هذا خلنا نضحك من زرادشت ، ونردد قولته ، ولكن على غير قصده وهواه ... أهذه هى الحياة ؟

هاتها إذن مرة ثانية وثالثة .

وأخيراً يا صاح ها نحن أولاء أنسانا الحديث متاعب الطريق ، واستحققنا متعة هذا المرج الضاحك النضير .

(شرق الأردن) عبد الحليم عباس

حاليا فى
سينما الكورسال الفخمة
نجاح يفوق كل وصف
للفيلم الجديد فى نوعه
ابن الصـــحراء
تمثيل
بدر لاما — روحية خالد
إحسان الجزايرلى — أنور وجدى
بالاشتراك مع
محمود المليجى . حسن حلمى . محمد الديب
حسن كامل . سامى نعمان . عثمان أباظة
والمطربه درية أحمد
إخراج : ابراهيم لاما
أربع حفلات يومياً
وابتداء من ٥ نوفمبر
بسينما ليـــدو بالأسكندرية